"وَقَفَاتُ الْعَاقِلِ فِي الْفِتَنِ وَالأَزَمَاتِ،

عِبَرٌ وَعِظَاتٌ".

أَبُو زَيْدٍ العُتَيْبِيُّ –عَفَا اللهُ عَنْهُ– .

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيْمِ

الْحَمْدُ للّهِ رَبِّ الْعَالَمِيْنَ، وَالصَّلاةُ وَالسَّلامُ عَلَى نَبِيِّنَا الأَمِيْنِ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ.

أَمَّا بَعْدُ:

فَهَذِهِ وَصَايَا قَنَصَهَا خَاطِرِي الكَلِيْلُ مِنْ فَلاةِ النَّظَرِ العَلِيْلِ تَحْذِيْراً مِنْ الْفِتَنِ الْمُدْلَهِمَّاتِ، وَالنَّوَازِلِ الْمُظْلِمَاتِ.

فَعَنْ المِقْدَادِ بْنِ الأَسْوَدِ –رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ– قَالَ: أَيْمُ اللّهِ، لَقَدْ سَمِعْتُ رَسُولَ اللّهِ –صَلَّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– يَقُولُ:

"إِنَّ السَّعِيْدَ لَمَنْ جُنِّبَ الفِتَنَ، إِنَّ السَّعِيْدَ لَمَنْ جُنِّبَ الفِتَنَ، إِنَّ السَّعِيْدَ لَمَنْ جُنِّبَ الفِتَنَ، وَلَمَنْ ابْتُلِي فَصَبَرَ فَوَاهاً".

(رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ، وَصَحَّحَهُ الأَلْبَانِيُّ).

وَأَسْعَدُ النَّاسِ أَعْقَلُهُمْ، وَهُمَ أَهْلُ السُّنَّةِ وَالجَمَاعَةِ؛ لأَنَّهُمْ كَمَّلُوا عُقُولَهُمْ بِنُورِ الكِتَابِ وَالسُّنَّةِ.

قَالَ شَيْخُ الإِسْلامِ –رَحِمَهُ اللهُ-:

"وَأَمَّا أَهْلُ السُّنَّةِ وَالْحَدِيثِ فَمَا يُعْلَمُ أَحَدٌ مِنْ عُلَمَائِهِمْ وَلَا صَالِحِ عَامَّتِهِمْ رَجَعَ قَطُّ عَنْ قَوْلِهِ وَاعْتِقَادِهِ.

بَلْ هُمْ أَعْظَمُ النَّاسِ صَبْرًا عَلَى ذَلِكَ وَإِنْ اُمْتُحِنُوا بِأَنْوَاعِ الْمِحَنِ وَفُتِنُوا بِأَنْوَاعِ الْفِتَنِ.

وَهَذِهِ حَالُ الْأَنْبِيَاءِ وَأَتْبَاعِهِمْ مِنْ الْمُتَقَدِّمِينَ كَأَهْلِ الْأُخْدُودِ وَنَحْوِهِمْ، وَكَسَلَفِ هَذِهِ الْأُمَّةِ مِنْ الصَّحَابَةِ، وَالتَّابِعِينَ، وَغَيْرِهِمْ مِنْ الْأَئِمَّةِ".

(مَجْمُوعُ الْفَتَاوَى: ٤/٥٠).

لِذَلِكَ كَتَبْتُ هَذِهِ الْوَقَفَاتِ عَلَى طَرِيْقَتِهِمْ مُتَّبِعَاً مَعَانِي نُصُوصِ الْوَحْيِ –كِتَابَاً وَسُنَّةً– وَمُقْتَفِيَاً آثَارَ السَّلَفِ الْكِرَامِ.

وَسَمَّيْتُهَا :

"وَقَفَاتُ الْعَاقِلِ فِي الْفِتَنِ وَالأَزَمَاتِ، عِبَرٌ وَعِظَاتٌ".

فَمَا كَانَ فِيْهَا مِنْ حَقٍّ وَصَوَابٍ فَمِنَ اللهِ –وَحْدَهُ–، وَمَا كَانَ فِيْهَا مِنْ خَلَلٍ وَزَلَلٍ فَمِنِّي وَمِنَ الشَّيْطَانِ.

اللَّهُمَّ تَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ العَلِيْمُ الحَكِيْمُ، وَاجْعَلْهَا نَافِعَةً لِعِبَادِكَ الْمُؤْمِنِيْنَ، وَمُصْلِحَةً لأَحْوَالِنَا فِي الدَّارَيْنِ.

وَكَتَبَهُ: أَبُوْ زَيْدٍ العُتَيْبِيُّ –عَفَا اللهُ عَنْهُ– .

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] زَوَالُ الْفِتَنِ وَآثَارِهَا لا يَكُوْنُ إِلا بِإِقَامَةِ التَّوْحِيْدِ؛ بِأَنْ يَكُوْنَ الدِّيْنُ كُلُّهُ للّهِ، قَالَ -تَعَالَى-: {وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ} [الأَنْفَالُ: ٣٩].

[٢] صِحَّةُ الْمُعَالَجَةِ تَحْتَاجُ تَمْيِيزاً بَيْنَ أَعْرَاضِ الْمَرَضِ، وَأَسْبَابِهِ؛ فَكَثِيْرٌ مِنَ الأَمْرَاضِ تَظْهَرُ أَعْرَاضُهَا، وَتَخْتَفِي أَسْبَابُهَا؛ فَيُفْضِي الاشْتِبَاهُ إِلَى زِيَادَةِ الْمَرَضِ أَوْ دَوَامِهِ.

[٣] الْفَيْصَلُ بَيْنَ نَظَرِ الْعَاقِلِ، وَنَظَرِ السَّفِيْهِ؛ أَنَّ الْعَاقِلَ تَفْكِيْرُهُ لِمَاذَا أَفْعَلُ؟ وَالسَّفِيْهَ تَفْكِيْرُهُ مَاذَا أَفْعَلُ؟ فَتَفْكِيْرُ الأَوَّلِ فِي الْغَايَةِ؛ لأَنَّهُ حُرٌّ. وَالثَّانِي فِي الْفِعْلِ؛ لأَنَّهُ عَبْدٌ.

[٤] الْفِتْنَةُ آفةُ الْعُقُولِ تُخَامِرُ الأَلْبَابَ فَتُفْسِدُهَا، وَتُعَارِضَ الأَحْلامَ فَتُحَيِّرُهَا. فَتَذَرُ السَّفِيْهَ سَكْرَانَاً، وَتَجْعَلُ الْحَلِيْمَ حَيْرَانَاً.

[٥] الآرَاءُ فِي زَمَنِ الْفِتَنِ، كَحُمَّى الْبَدَنِ؛ فَأَبْرِدُوهَا بِمَاءِ (الْوَحْيِ)، (وَالسُّنَنِ).

[٦] مَرْكَبُ الْفِتَنِ؛ بَحْرُهُ دِمَاءُ الأَبْرِيَاءِ، وَرُبَّانُهُ الصِّغَارُ وَالسُّفَهَاءُ؛ لَيْلُهُ بَهِيمٌ، وَنَهَارُهُ جَحِيمٌ، وَمَرْسَاهُ عَلَى شَفَا جُرُفٍ هَارٍ عَلَى شَفِيْرِ جَهَنَّمَ.

[٧] صِراعُ الْعَاطِفَةِ وَالْعَقْلِ زَمَنَ الْفِتَنِ يَحْسِمُهُ الشَّرْعُ؛ فَمَا أَعْظَمَهَا مِنْ قُلُوبٍ لِلْعُقَلاءِ تَرْدِمُ بِحُدُودِ الشَّرِيْعَةِ فُوَّهَةَ الْعَاطِفَةِ مِنْ بُرْكَانِ الْغَيْظِ.

[٨] سُلُوكُ نَاقِصِ العَقْلِ؛ كَالطِّفْلِ يُكْثِرُ الضَّجِيْجَ، وَالصُّرَاخَ.

وَتُرْضِيْهِ مَلْهَاةُ الصِّبْيَانِ.

وَالسُّلُوكُ المتَزِنُ: ثَمَرَةُ التَّفْكِيرِ المُعْتَبَرِ؛ لأَنَّ أُصُولَهُ تُبْنَى عَلَى نُبْلِ الغَايَةِ، وَصِحَّةِ الوَسِيْلَةِ.

[٩] الْغَفْلَةُ ذُهُوْلُ الْقَلْبِ عَنْ شَيْءٍ مَعْلُوْمٍ تُوْجِبُ عَدَمَ الْعَمَلِ بِمُقْتَضَاهُ مِنْ فِعْلٍ أَوْ تَرْكٍ؛ فَإِنْ تَقَصَّدَ ذَلِكَ لِمَصْلَحَةٍ رَاجِحَةٍ فَهُوَ تَغَافُلٌ مَحْمُودٌ، وَإِلا فَهُوَ بَلادَةٌ بَهِيْمِيَّةٌ وَخَوَرُ نِيَّةٍ.

[١٠] الْمَتَاهَةُ أَنْ تَكُوْنَ فِي وَسَطِ الطَّرِيْقِ، ثُمَّ لا تَدْرِي أَيْنَ الْمَخْرَجُ فَفِي مِثْلِ هَذِهِ الْحَالِ عَلَيْكَ بِدُعَاءِ ذِي النُّوْنِ: لا إِلَهَ إِلا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِيْنَ.

[١١] ارْضَاءُ النَّاسِ عَقَبَةٌ كَؤُودٌ فِي طَرِيْقِ الْجَنَّةِ قَلَّ مَنْ يَتَجَاوَزُهَا كَالأَعْرَافِ الْفَاسِدَةِ الَّتِي هِيَ سُلْطَةٌ قَسْرِيَّةٌ تَسُوقُ سُفَهَاءَ الأَبْنَاءِ بِأَهْوَاءِ الآبَاءِ فِي مَرْكَبِ حَمِيَّةِ الْجَاهِلِيَّةِ.

[١٢] الْفِتْنَةُ قَدْ تَنْشَأُ مِنْ عَجَلَةِ الْقَرَارِ، وَهَذِهِ سِمَةُ أَكْثَرِ الْفِتَنِ الْمَكْشُوفَةِ لَكِنَّ أَغْمَضَهَا مَا يَتَأَخَّرُ فِيْهَا الْقَرَارُ الْحَاسِمُ؛ لِبُرُودَةِ التَّفْكِيْرِ فَتُوَاكَبُ الأَحْدَاثُ الْمُتَسَارِعَةُ بِمَشْيِ السُّلَحْفَاةِ.

[١٣] نَفَقُ الْفِتْنَةِ مُظْلِمٌ؛ فَإِنْ دَخَلْتَهُ بِشَمْعَةِ الرَّأْيِ فَسَتَنْطَفِئْ مَعَ أَوَّلِ أَعَاصِيْرِهِ، وَإِنْ أُدْخِلْتَهُ قَدَرًا فَاسْتَصْحِبْ شَمْسَ النُّبُوَّةِ فَسَتَجِدْ فِي فَجْوَةٍ مِنْهُ رَحْمَةً تُلَطِّفُ شِدَّتَهُ، وَرَشَدًا لِلْخُرُوجِ مِنْهُ.

[١٤] لِلْعَاقِلِ نَظَرَانِ عِنْدَ مُعَالَجَةِ الْفِتْنَةِ: نَظَرٌ إِلَى السَّلْبِيَّاتِ الَّتِي تَتَحَوَّلُ إِلَى هُمُومٍ تُقَنِّطُهُ مِنَ النَّجَاةِ، وَنَظَرٌ إِلَى الإِيْجَابِيَاتِ يُحَوِّلُهَا تَفَاؤُلاً إِلَى سُلَّمٍ لِلْخُرُوجِ مِنْهَا.

[١٥] الْعَبْدُ زَمَنَ الْفِتْنَةِ يَحْتَاجُ أَمْرَيْنِ:

عِلْمًا يُبَصِّرُهُ، وَعَمَلاً يُخَلِّصُهُ.

أَمَّا الْعِلْمُ فَمَنَاطُ حُصُوْلِهِ: الشَّرْعُ الصَّحِيْحُ، وَالْعَقْلُ الرَّجِيْحُ.

وَأَمَّا الْعَمَلُ فَمَنَاطُهُ: إِعَانَةُ اللهِ، وَجِمَاعُ ذَلِكَ التَّوْفِيقُ.

[١٦] لِكُلِّ فِتْنَةٍ قِنَاعٌ،

فَالجَاهِلُ يَنْظُرُ إِلَى مَا ظَهَرَ وَعَلا.

وَالْعَاقِلُ يَنْظُرُ إِلَى البَاطِنِ وَالْمُنْتَهَى.

فَمَادَةُ الجَاهِلِ فِي نَظَرِهِ: (الْهَوَى).

وَمَادَةُ الْعَاقِلِ (الْوَحْيُ وَالْهُدَى).

[١٧] سَيْلُ الْفِتَنِ يَجْرِفُ مَا لا أَصْلَ لَهُ ثَابِتٌ، ثُمَّ يَنْتَهِي بِهِ حِيْنَ تَخْمِدُ فَوْرَتُهُ رُكَامَاً مِنْ حُطَامٍ لا يُنْتَفَعُ مِنْهُ.

[١٨] حَقِيْقَةُ الْفِتْنَةِ السِّيَاسِيَّةِ لا تَقُوْمُ عَلَى ذَكَاءِ مُصَدِّرِيْهَا، وَلَكِنَّهَا تَسْتَثْمِرُ بَلاهَةَ كَثِيْرٍ مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ وَجَهْلَهَمْ فَتُمَرِّرُ أَفْكَارَهَا. وَتُسَخِّرُ ضَعْفَ إِيْمَانِهِمْ وَوَلائِهِمْ لِتَنْفِيْذِهَا.

[١٩] الْفِتْنَةُ اشْتِبَاهٌ بَيْنَ الْحَقِّ وَالبَاطِلِ بِظُلْمَةٍ تَحْجُبُ الرُّؤْيَةَ؛ فَالحَكِيْمُ الَّذِي يَحْفَظُ الْخُطَى الْقَدِيْمَةَ، فَيَخْطُو مِثْلَهَا مُتَوَكِّلاً عَلَى اللهِ؛ فَإِنْ وَسَّعَ خُطْوَتَهُ أَوْ قَصَّرَهَا فَقَدْ يَهْلَكُ.

[٢٠] الْفِتْنَةُ سَبُعٌ صَائِلٌ، فَرِيْسَتُهُ الثَّرْثَارُ، وَالسَّفِيْهُ: الأَوَّلُ لِكَثْرَةِ كَلامِهِ. وَالثَّانِي لاضْطِرَابِ أَفْعَالِهِ.

[٢١] حَقِيْقَةُ المُشَاوَرَةِ عِنْدَ الفِتَنِ حَسْمٌ لِلنِّزَاعِ بِمُنَاقَلَةِ الرَّأْيِ بَيْنَ الْعُقُولِ كَمُنْخِلِ الدَّقِيْقِ يُخْرِجُ الصَّافِي دُوْنَ النُّخَالَةِ.

[٢٢] الْخَسَارَةُ فِي الْفِتَنِ تَكُوْنُ فِي رَأْسِ المَالِ؛ فَلِهَذَا يُفْجَعُ بِهَا النَّاسُ؛ لأَنَّ خُسْرَانَ الأَرْبَاحِ لا يُوْجِبُ الإِفْلاسَ.

[٢٣] مِنَ الْفِتَنِ أَقْدَارٌ كَوْنِيَةٌ تَنْصَبُّ عَلَى مَحَلِ الأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ؛ فَتَجْعَلُ مِنْ عَزَائِمِهَا مُسْتَكْرَهَاتٍ، وَمِنْ رُخَصِهَا مُفْتَرَاتٍ.

[٢٤] الْخَبَرُ فِي الْفِتْنَةِ مُلَوَّثٌ بِتَهْوِيْلٍ فَلا تَمْضَغْهُ بِلِسَانِكَ حَتَّى تَغْسِلَهُ بِـ(فَتَبَيَّنُوا).

[٢٥] احْذَرْ نَقْلَ الأَخْبَارِ وَتَصْدِيْقَهَا زَمَنَ الْفِتَنِ فَفِي ضَبَابِيَّةِ الْفِتْنَةِ تُلاكُ أَعْرَاضُ أَقْوَامٍ لا نَاقَةَ لَهُمْ فِيْهَا وَلا جَمَلَ.

[٢٦] إِنَّ الْفِتْنَةَ شَجَرَةٌ خَبِيْثَةٌ؛ بَذْرَتُهَا آفَةٌ فِي الْقُلُوبِ مِنْ عِلَلِ الشُّبُهَاتِ وَالشَّهَوَاتِ، وَيَمُدُّهَا مَاءُ الْهَوَى وَالشَّيْطَانِ؛ فَتُثْمِرُ بَيْنَ الْعِبَادِ الْحِقْدَ، وَالْحَسَدَ، وَالبَغْضَاءَ، وَالعَدَاءَ.

[٢٧] قَلَمُ العِلْمِ فِي النَّازِلَةِ كَالشَّمْسِ تُبَدِّدُ ظُلُمَاتِ اللَّيْلِ إِلا أَنَّ الأَعْمَى لا يُبْصِرُهَا.

[٢٨] إِنَّ كَلِمَةَ الْحَقِّ فِي مَوْضِعِهَا تَكُونُ وَضِيئَةً وَلَهَا وَقْعٌ عَلَى القُلُوبِ زَمَنَ الفِتَنِ كَوَقْعِ الوَابِلِ عَلَى النَّارِ يُطْفِئُ لَهَبَهَا وَيُخْمِدُ نَارَهَا؛ فَإِنْ كَانَتْ كَلِمَةَ حَقٍّ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهَا —جَهْلاً—. أَوْ كَلِمَةَ حَقٍّ أُرِيْدَ بِهَا مَآرِبَ —ظُلْمَاً—؛ فَإِنَّهَا تَصِيْرُ وَقُودَاً لِلْفِتْنَةِ تُضْرِمُ نَارَهَا، وَتَزِيْدُ لَهَبَهَا.

[٢٩] الْفِتَنُ مَزَلَّةُ قَدَمٍ، وَمُسْتَشْرِفُهَا عَلَى قِمَّةِ جَبَلٍ عَالٍ فِي لَيْلَةٍ مَظْلِمَةٍ فَرُبَّمَا وَضَعَ رِجْلَهُ عَلَى طَرَفِهِ فَكَانَ عَلَى شَفَا هَلَكَةٍ، وَرُبَّمَا وَضَعَهَا فِي الْهَوَاءِ فَيَخِرُّ إِلَى حَيْثُ مُنْتَهَاهُ.

[٣٠] الْمَفْتُونُ بَلِيْدُ الإِحْسَاسِ؛ لأَنَّ الأَلَمَ عَلَى قَدْرِ الصَّفْعَةِ إلا أَنْ يَكُونَ الْمَصْفُوعُ فِي غَيْبَةِ السُّكْرِ، فَلا يَحُسُّ بِوَاقِعِهِ؛ لأَنَّهُ مَعَ النَّاسِ بِبَدَنِهِ، وَمَعَ الْهَوَى بِقَلْبِهِ وَفِكْرِهِ وَرُوحِهِ وَحِسِّهِ.

[٣١] كُلُّ كَلِمَةٍ فِي الْفِتْنَةِ بِلا تَأْصِيْلٍ شَرْعِيٍّ تَصِيْرُ حُرُوفُهَا خَنَاجِرَ تُمَزِّقُ وَحْدَةَ الأُمَّةِ.

[٣٢] الرُّجُوعُ إِلَى اللهِ مَقْصَدٌ شَرْعِيٌّ؛ لأَجْلِهِ بَعَثَ اللهُ الرُّسُلَ، وَطَرِيْقُهُ الصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيْمُ، فَمَنْ لَمْ تَحُثُّهُ الآيَاتُ الشَّرْعِيَّةُ عَلَى سُلُوكِهِ سَاقَتْهُ السِّيَاطُ الْقَدَرِيَّةُ إِلَيْهِ بِالْبَلاءِ وَالْفِتَنِ.

[٣٣] صِفَةُ الْمُؤْمِنِ زَمَنَ الْفِتْنَةِ أَنَّهُ (قَابِضٌ عَلَى دِيْنِهِ)؛ لأَنَّهُ يُحِبُّهُ بِقَلْبِهِ وَيَحْفَظُهُ بِعَمَلِهِ، (كَالقَابِضِ عَلَى الْجَمْرِ)؛ لأَنَّهُ يُضَحِّي فِي سَبِيلِ بَقَائِهِ بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ وَيَصْبِرُ عَلَى ذَلِكَ.

[٣٤] فِي الْقَلْبِ صِرَاعٌ زَمَنِ الْفِتَنِ بَيْنَ نَوَازِعِ الْخَيْرِ وَنَوَازِعِ الشَّرِّ، وَالغَلَبَةُ لِصَاحِبِ الدَّارِ؛ فَتَفَقَّدْ مَنْ يَسْكُنُ قَلْبَكَ تَعْرِفِ النَّتِيْجَةَ.

[٣٥] سُلَّمُ الْخُرُوجِ مِنَ الْفِتْنَةِ ثَلاثُ دَرَجَاتٍ؛ التَّوْبَةُ النَّصُوحُ الَّتِي تُكَفِّرُ الذُّنُوبَ. وَالصَّمْتُ عَنِ الْكَلامِ إِلا بِعِلْمٍ ثَابِتٌ تَأْصِيْلُهُ، وَمُحَرَّرٌ تَنْزِيْلُهُ. وَالصِّدْقُ فِي الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ وَالْحَالِ. فَالتَّوْبَةُ تُحَرِّرُ قُيُودَهُ، وَالعِلْمُ يَدُلُّهُ عَلَى الطَّرِيْقِ، وَيُنِيْرُ سَبِيْلَهُ. وَالصِّدْقُ يُدْلِجُهُ فِي مَسِيْرِهِ حَتَّى يَلْحَقَ بِرَكْبِ النَّاجِيْنَ.

[٣٦] اتِّحَادُ المُصَابِ عِنْدَ أَفْرَادِ الأُمَّةِ زَمَنَ الْفِتْنَةِ دَلِيْلٌ عَلَى كَمَالِ حيَاةِ الْمُجْتَمَعِ ؛ فَإِنَّ العُضْوَ الْمَيِّتِ مِنَ البَدَنِ لا تَسْرِي إِلَيْهِ آلامُ أَعْضَائِهِ الأُخْرَى.

[٣٧] نَجَاحُ الدَّاعِيَةِ مُقْتَرِنٌ بِتَطَلُّعِهِ إِلَى مَا كُلِّفَ بِهِ مِمَّا هُوَ فِي وُسْعِهِ؛ لأَنَّهُ طَرِيْقُهُ إِلَى اللّهِ بِخِلافِ الْعَامِلِ بِغَيْرِ مَا كُلِّفَ بِهِ فَهُوَ عَلَى غَيْرِ طَرِيْقٍ، كَمَنْ يَعْبُدُ اللّهَ بِغَيْرِ شَرْعٍ.

[٣٨] الدَّمُ فِي زَمَنِ الْفِتَنِ مِدَادٌ لِكِتَابَةِ عِبْرَةٍ قَصَصِيَّةٍ لا يَقْرَؤُهُ إِلا أُوْلُوا الأَلْبَابِ.

[٣٩] الإِعْجَابُ بِالرَّأْيِ آفَةُ الْعَقْلِ وَحِجَابٌ عَنِ الْهِدَايَةِ؛ لأَنَّ سَمَاءَ الْحَقِّ لا يُحَلِّقُ فِيْهَا إِلا طَائِرُ التَّسْلِيْمِ لِلشَّرْعِ.

[٤٠] مَرْكَبُ السَّفِيْهِ فِي بِحَارِ الْفِتَنِ شِرَاعُهُ الْعَوَاطِفُ الَّتِي تُسَيِّرُهَا رِيْحُ قَنَوَاتِ التَّحْرِيْضِ، وَمَنَابِرُ التَّهْيِيجِ.

[٤١] الْفَقِيْهُ فِي زَمَنِ الْفِتَنِ مَنْ يَحْفَظُ حَسَنَاتِهِ بِتَرْكِ فُضُولِ الرَّأْيِ.

[٤٢] الْفِتَنُ تُذْهِبُ مِنَ الْحَسَنَاتِ وَالإِيْمَانِ أَعْظَمُ مِمَّا تُذْهِبُ مِنَ الأَبْدَانِ وَالْبُلْدَانِ؛ فَمَنْ لَمْ تُفْسِدِ الْفِتْنَةُ دُنْيَاهُ فَلا يَأْمَنَنَّ أَنْ تُفْسِدَ أُخْرَاهُ.

[٤٣] التَّعَالُمُ خَصْلَةٌ مِنْ مَهَانَةِ الْعَبْدِ؛ لأَنَّ التَّزَيُّدَ بِرِدَاءِ الْعِلْمِ وَالْفَتْوَى عُنْوَانُ وَقَاحَةِ النَّفْسِ وَقُبْحِهَا، فَمِنِ احْتِرَامِ النَّفْسِ مَعْرِفَةُ قَدْرِهَا.

[٤٤] لَحظَاتُ تَسَلُّطِ الظَّالِمِيْنَ تَمْحِيْصٌ لِلْمُؤْمِنِيْنَ بِتَخْلِيْصِ إِيْمَانِهِمْ مِنْ شَوَائِبِ الشَّكِ وَالرَّيْنِ.

[٤٥] لُغَةُ الْعَاطِفَةِ فِي زَمَنِ الْفِتَنِ تَخْدِيْرٌ لِلنَّفْسِ، وَلَيْسَتْ عِلاجًا لِلْوَاقِعِ؛ لأَنَّهَا بِقَدْرِ مَا تُنَفِّسُ عَنِ الْمَكْبُوتِ فِي الصَّدْرِ تُفْسِدُ الْمَلْمُوسَ فِي الْوَاقِعِ.

[٤٦] أَعْذَبُ مَا يَكُوْنُ الدُّعَاءُ أَصْدَقُ مَا يَكُونُ العَبْدُ؛ وَذَلِكَ عِنْدَ تَجَرُّدِهِ مِنَ الْحَوْلِ وَالْقُوَّةِ وَانْقِطَاعِ تَعَلُّقِهِ بِالخَلْقِ وَذَلِكَ عِنْدَ بُلُوغِهِ مُنْتَهَى ضَعْفِهِ.

[٤٧] الْمُؤْمِنُ يَمْلِكُ أَقْوَى سِلاحٍ وَأَكْثَرَهُ نِكَايَةً فِي الْعَدُوِّ، لَكِنَّهُ لا يُحْسِنُ اسْتِعْمَالَهُ.

رَبَّاهُ أَنْتَ الْمُنَادَى بِهِ فِي كُلِّ نَازِلَةٍ

وَأَنْتَ مَلْجَأُ مَنْ ضَاقَتْ بِهِ الْحِيَلُ

[٤٨] الرُّجُوعُ إِلَى الْعُلَمَاءِ الرَّبَّانِيِّينَ مِنْ أُصُولِ الإِسْلامِ.

وَالْعُدُولُ عَنْهُ يُفْسِدُ الأَدْيَانَ، وَالْجَنَانَ، وَالْبُلْدَانَ.

[٤٩] الْمُنْتَصِرُ لِلْحَقِّ لا لِنَفْسِهِ: مَنْ لا يُفْضِي قَوْلُهُ إِلَى بَاطِلٍ يُقَرِّرُهُ.

[٥٠] وَاجِبُ الدَّاعِيَةِ الرَّبَّانِي فِي زَمَنِ الْفِتْنَةِ تَثْبِيْتُ الْقُلُوبِ لا تَغْيِيرُ الْقَنَاعَاتِ.

[٥١] تَضْخِيْمُ الرَّأْيِ بِالْعِبَارَةِ، وَالإِثَارَةِ، وَالإِطَالَةِ مِنْ إِفْرَازَاتِ الافْتِتَانِ.

[٥٢] السَّلامَةُ مِنَ الْفِتْنَةِ لَيْسَتْ فِي مَعْرِفَةِ الْحَقِّ. بَلْ بِالْتِزَامِ حَدِّهِ الشَّرْعِيِّ بِوَضْعِهِ فِي مَحَلِّهِ بِلا إِفْرَاطٍ وَلا تَفْرِيْطٍ.

[٥٣] بُرْكَانُ غَضَبِ الْمَفْتُونِ يُخْمِدُهُ انْصِرَامُ أَحْدَاثِ الْفِتْنَةِ وَإِدْبَارُهَا، فَمَعَ مُضِيِّ الزَّمَانِ تَنْحَسِمُ صِرَاعَاتُهُ؛ فَلا تَنْشَغِلْ بِمُمَارَاتِهِ.

[٥٤] مِنَ الغَرِيْبِ فِي أَحْوَالِ الْفِتَنِ أَنَّ أَكْثَرَ مَنْ يَخُوضُونَ فِيْهَا يَنْصُرُونَ فِيْهَا قَوْلاً مِنْ جِهَةٍ، وَيُؤَيِّدُونَ ضِدَّهُ مِنْ جِهَةٍ ثَانِيَةٍ. وَهِيَ مَرْحَلَةُ الصِّبْيَانِيَّةِ فِي الرَّأْيِ.

[٥٥] مِنْ تَمَامِ سَعَادَةِ العَبْدِ أَنْ يَكْتُبَ فِي قَنَوَاتِ التَّوَاصُلِ مَا يُرْضِي رَبَّهُ، وَيَنْفَعُ إِخْوَانَهُ؛ فَمَنْ زَادَ هَمُّهُ، وَتَوَاصَلَ غَمُّهُ فَلْيَعْلَمْ أَنَّ مِدَادَهُ فِي سَخَطِ رَبِّهِ، وَمَضَرَّةِ إِخْوَانِهِ، وَإِنْ لَمْ يَرَ ذَلِكَ؛ لأَنَّهُ مَفْتُونٌ.

[٥٦] الْكِتَابَةُ خَلْفَ الشَّاشَةِ بِصَلافَةٍ وَجَسَارَةٍ خَارِجَةٍ عَنْ أَدَبِ الْمُجَالَسَةِ مِنْ نَقْصِ الْمُرُوءَةِ، وَالرُّجُولَةِ، وَهِيَ مُسْتَنْقَعٌ لِلافْتِتَانِ.

[٥٧] مِنْ مُقَدِّمَاتِ الْفِتْنَةِ الْبَطَالَةُ؛ فَمَنْ نُزِعَ الْخَوْفُ مِنْ قَلْبِهِ، وَقَلَّ رَجَاؤُهُ لِرَبِّهِ انْعَدَمَ صِدْقُهُ، وَكَثُرَ لَهْوُ قَلْبِهِ، وَلَعِبُ جَوَارِحِهِ -مَغْرُوراً بِالأَمَانِي- حَتَّى يَفْجَعَهُ حَتْفُهُ بِمَصْرَعِهِ مَعَ أَهْلِ الْبَطَالَةِ.

[٥٨] الْفِتْنَةُ (آلَةُ) كَشْفٍ وَتَمْحِيصٍ، تَنْفُذُ إِلَى كَمَائِنِ الْقُلُوبِ فَتُهَيِّجُهَا لِتَنْبَعِثَ مِنْهَا مَكْنُونَاتُ الضَّمَائِرِ أَقْوَالاً وَأَعْمَالاً.

فَقَوْلُ الْعَبْدِ قَبْلَ الْفِتْنَةِ ادِّعَاءٌ، وَبَعْدَهَا أَمَارَةٌ عَلَى حَقِيقَتِهِ؛

فَمَنْ نَقَضَ قَوْلَهُ أَوْ عَمَلَهُ -مُخْتَاراً- بَعْدَ الْفِتْنَةِ فَهُوَ مَفْتُونٌ وَمَغْبُونٌ.

وَمَنْ ثَبَتَ عَلَى حَالِهِ الأُوْلَى فَهُوَ صَادِقٌ مَأْمُونٌ.

[٥٩] الْحَيْرَةُ نَوْعَانِ: عَدَمُ مَعْرِفَةِ الْغَايَةِ الْمَطْلُوبَةِ، وَعَدَمُ مَعْرِفَةِ الطَّرِيْقِ الْمُوْصِلِ إِلَيْهَا.

وَانْعِدَامُ مَعْرِفَتِهِ بِذَلِكَ؛ إِمَّا جَهْلاً لِفَسَادِ نَظَرِهِ، وَإِمَّا جَهَالَةً لِفَسَادِ إِرَادَتِهِ.

[٦٠] هُمُوْمُ الْقَلْبِ عَوَاقِبُ الْذَنْبِ تَمْنَعُهُ عَمَّا فِيْهِ صَلاحُهُ، وَتَصَرُّفُهُ عَمَّا فِيْهِ نَجَاتُهُ. فَمَدَارُ النَّجَاحِ مُنَاطٌ بِتَبْدِيْدِ الْهُمُوْمِ بِالتَّوْبَةِ وَالاسْتِغْفَارِ.

[٦١] الْهُمُوْمُ جُنُوْدُ الْخِذْلانِ تَهْجِمُ عَلَى الْقَلْبِ الْغَافِلِ؛ فَتَأْسِرُهُ وَتَحُوْلُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْكَمَالاتِ.

[٦٢] عَلَى قَدْرِ تَعَلُّقِ الْقَلْبِ بِالدُّنْيَا تَنْشِبُ الْهُمُوْمُ أَنْيَابَهَا فِي أَدِيْمِهِ حَتَّى يَنْضُبَ دَمُهُ. وَمَا لِجُرْحٍ بِمَيِّتٍ إِيْلامُ.

[٦٣] الْفِتْنَةُ كَالْمَطَرِ يَسْقِي الأَرْضَ، وَكَمَائِنُ الْقُلُوبِ كَالْبَذْرِ، فَإِذَا تَمَّ سَقْيُهَا نَمَى الزَّرْعُ مِنْ جِنْسِ بَذْرِهِ حُلْوَاً أَوْ مُرَّاً، طَيِّبَاً أَوْ خَبِيْثَاً.

[٦٤] اطْرُوحَةُ الْوَطَنِيَّةِ فِي حَلِّ الأَزْمَةِ الْعِرَاقِيَّةِ خَبَلٌ شَرْعِيٌّ وَعَقْلِيٌّ وَسِيَاسِيٌّ؛ لأَنَّ كُلَّ مَنْ يُؤَمِّلُ نَتَائِجَاً فِي الْمُسْتَقْبَلِ مُقَدِّمَاتُهَا مَفْقُودَةٌ فِي الْوَاقِعِ فَهُوَ سَفِيْهٌ.

[٦٥] لِكُلِّ حِصَّةٍ مِنْ صَلاحِ الْقَلْبِ حِصَّةٌ مِنَ التَّوْفِيْقِ تُنَاسِبُهَا؛ فَأَسْعَدُ النَّاسِ بِالْعِلْمِ وَالْعَمَلِ أَطْهَرُهُمْ قُلُوْبَاً.

[٦٦] الْحَصِيْفُ (وَقْتَ الْفِتْنَةِ) مَنْ يَجْعَلُ حَرَسَ حُدُوْدِ قَنَاعَاتِهِ مِنْ جُنْدِ الإِخْلاصِ تَحْتَ لِوَاءِ: (ابْتِغَاءِ وَجْهِ اللّهِ تَعَالَى).

فَالإِخْلاصُ أَعْظَمُ قَاطِعٍ لِتَسْرِيْبَاتِ الْهَوَى إِلَى الْقَلْبِ بِلا بُرْهَانٍ؛ لأَنَّهُ أَمِيْنٌ لا يَقْبَلُ الرِّشْوَةَ.

[٦٧] دَوَاءُ الْفِتَنِ فِي فِطَامِ النُّفُوسِ عَنْ أَهْوَائِهَا، بِتَجَرُّعِ أَلَمِ الْفِرَاقِ سَاعَةً. وَمَنْ لَمْ يَصْبِرْ عَلَى أَلَمِ الْوِلادَةِ لَنْ يَظْفَرَ بِنَسْلِ السَّعَادَةِ.

[٦٨] بَصَرُ السُّفَهَاءِ فِي عُيُونِهِمْ يَعْلَمُونَ ظَاهِراً مِنَ الحَيَاةِ الدُّنْيَا فَالْتَهَوْا غَافِلِيْنَ، وَبَصَرُ الْعُقَلاءِ فِي قُلُوبِهِمْ يَعْلَمُونَ بَاطِنَهَا وَحَقِيْقَتَهَا فَانْتَبَهُوا شَاكِرِيْنَ.

[٦٩] فِي الْفِتَنِ يَتَسَلَّلُ الْهَوَى إِلَى القَلْبِ بِأَقْنِعَةِ (الْمُتَشَابِهَاتِ)؛ فَتُمَرَّرُ بَعْضُ الْمَسَائِلِ إِلَى حَيِّزِ الْقَنَاعَةِ بِلا تَأْشِيْرَةِ دُخُولِ {قَلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ}.

[٧٠] يَا حَمَلَةَ الأَقْلامِ وَالدَّفَاتِرِ، إِنَّ القَلَمَ فَضَّاحٌ. وَفِي أَحْيَانٍ يَسْكُبُ مَعَ الْحِبْرِ السُّمَّ الزُّعَافَ؛ فَتَخْرُجُ الْكَلِمَاتُ ظَاهِرُهَا الرَّحْمَةُ وَبَاطِنُهَا الشَّرُّ الصُّرَاحُ.

[٧١] مَنْبَعُ الضَّلالِ مِن الاشْتِبَاهِ، وَهُوَ فِي الأَلْفَاظِ: تَحْرِيْفَاتٌ فَاسِدَةٌ. وَفِي الْمَعَانِي مَقَايِيْسُ كَاسِدَةٌ.

[٧٢] نَتَائِجُ الْمُقَدِّمَاتُ الصَّحِيْحَة مُحْكَمَةٌ، لَكِنَّ طَاحُونَةَ الْهَوَى تَخْلِطُهَا بِوَقَائِعَ مَغْلُوطَةٍ فَتُخْرِجُهَا: أَحْكَاماً جَائِرَةً، وَأَخْبَاراً كَاذِبَةً.

[٧٣] الْعِلْمُ اللِّسَانِي لا يَمْنَعُ زَلَلَ الأَفْهَامِ –ظُلْمَاً أَوْجَهْلاً– ؛ لأَنَّهُ حُجَةُ اللهِ عَلَى عَبْدِهِ {وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْماً بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ حَتَّى يُبَيِّنَ لَهُمْ مَا يَتَّقُونَ} [التَّوْبَةُ: ١١٥]. وَإِنَّمَا الْعِلْمُ الَّذِي يُوْجِبُ الْعِصْمَةَ هُوَ الْعِلْمُ الْقَلْبِيِّ الَّذِي يَسْتَجْلِبُ التَّوْفِيْقَ وَالْهِدَايَةَ.

[٧٤] طَرِيْقُ الْهِدَايَةِ لا يَسْلُكُهُ إِلا مَنْ أَمَاتَ نَفْسَهُ، فَلَمْ يَلْتَفِتْ إِلَى ذَكَائِهَا وَحِفْظِهَا وَكَثْرَةِ مَعْلُومَاتِهَا. بَلْ يَنْطَرِحُ عَلَى بِسَاطِ الْفَقْرِ وَالْفَاقَةِ بَيْنَ يَدَيْ الْعَلِيْمِ الْخَبِيْرِ.

[٧٥] إِذَا حَصَلَتِ الْفِتْنَةُ —خَيْراً أَوْ شَرًّا— تَجَاذَبَهَا عَسْكَرَانِ: عَسْكَرُ الشَّيْطَانِ، وَالنَّفْسِ. وَعَسْكَرُ الْمَلَكِ وَالْعَقْلِ.

فَالْعَسْكَرُ الشَّيْطَانِيّ يَسْعَى إِلَى إِفْسَادِ التَّصَوُّرِ وَالْعَمَلِ؛ بِاتِّبَاعِ الظَّنِّ وَالْهَوَى.

وَالْعَسْكَرُ الرَّحْمَانِيّ يَسْعَى إِلَى إِصْلاحِ الْعِلْمِ وَالْعَمَلِ؛ بِاتِّبَاعِ الْهُدَى وَدِيْنِ الْحَقِّ.

[٧٦] إِنَّ اللَّبِيْبَ يَحْذَرُ نَفْسَهُ أَكْثَرَ مِنْ عَدُوِّهِ، وَيَخْشَى ذَنْبَهُ أَكْثَرَ مِنْ ظُلْمِ خَصْمِهِ؛ لأَنَّ تَسَلُّطَ الْعَدُوِّ الظَّالِمِ نِهَايَةٌ، بِدَايَتُهَا جَهْلُ الْعَبْدِ وَظُلْمُهُ. وَمِنْهُمَا يَنْشَأُ مَرَضُ الْقَلْبِ؛ فَإِنْ لَمْ يُدَاوِهْ صَارَ مَأْوَى لِكُلِّ شَهْوَةٍ غَوِيَّةٍ، وَشُبْهَةٍ خَفِيَّةٍ.

[٧٧] قَبُولُ النُّصْحِ دُوْنَ الْعَمَلِ بِهِ تَمْكِيْنٌ لِلْحُجَّةِ عَلَى النَّفْسِ وَقَطْعٌ لأَعْذَارِهَا، فَاعْمَلْ تَسْعَدْ.

[٧٨] الْفِتَنُ فَضَّاحَةٌ، وَذَلِكَ لأَنَّ بُذُورَ السَّيِّئَاتِ تَحْتَ تُرْبَةِ الْقَلْبِ لا تُدْرِكُهَا الأَبْصَارُ، فَإِذَا سُقِيَتْ بِمَاءِ الْهَوَى نَمَتْ حَتَّى تَصِيْرَ شَجَرَةً عَرِيْقَةَ الْجُذُورِ، وَعَلَى قَدْرِ أَغْصَانِهَا —ارْتِفَاعَاً، وَانْتِشَارَاً— تَمْتَدُّ جُذُورُهَا فِي الْقَلْبِ —عُمْقَاً، وَاسْتِقْرَارَاً—.

[٧٩] سُكْرُ الْمَفْتُونِ بِخَمْرَةِ الْهَوَى يُعْمِي بَصِيْرَتَهُ عَنِ الْوَاقِعِ، فَتَصْدُرُ مِنْهُ التَّصَرُّفَاتُ مُوَافِقَةً لِمُقْتَضَى مَيْلِهِ النَّفْسِيِّ، وَرَغْبَتِهِ بِلا مُرَاعَاةٍ لِلْحَقِّ الْوَاجِبِ فِي الْوَاقِعِ. فَهُوَ يَعْمَلُ مُنْقَادَاً لِلْحَظِّ، لا اسْتِجَابَةً لِلْحَقِّ.

[٨٠] الْمُوَفَّقُ مِنَ الْعِبَادِ يُدْرِكُ أَنَّ الْهَوَى إِذَا تَمَكَّنَ مِنْ قَلْبِ صَاحِبِهِ فَإِنَّهُ يُدْخِلُهُ مَرْحَلَةَ (الْعَمَهِ الْفِكْرِيِّ)، وَهُوَ: تَفْكِيْرُهُ الْمُسْتَمَدُّ مِنْ مَادَةِ فَسَادِهِ. فَيَبْقَى فِي ظُلُمَاتِ الْهَوَى كَالَّذِي يَدُورُ فِي حَلْقَةٍ مُفْرَغَةٍ، قَدْ سُدَّتْ عَلَيْهِ مَنَافِذُ النَّجَاةِ، وَلا عَاصِمَ إِلا اللّهُ {وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ} [الْبَقَرَةُ: ١٥].

[٨١] أَسْبَابُ اجْتِلابِ التَّوْفِيقِ جِمَاعُهَا: (تَحْقِيْقُ التَّوْحِيْدِ)، (وَالتَّوْبَةُ مِنَ الذُّنُوبِ). {وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ هُوَ أَهْلُ التَّقْوَى وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ} [الْمُدَّثِرُ: ٥٦].

[٨٢] كُلُّ عَبْدٍ لَهُ (رَأْيٌ)، (وَشَهْوَةٌ)، وَتَوْفِيْقُهُ وَخِذْلانُهُ مِنْ جِهَتَيْهِمَا، فَإِذَا اعْتَدَّ الْعَبْدُ بِرَأْيِهِ، وَعَمِلَ بِمُقْتَضَى شَهْوَتِهِ خُذِلَ. وَإِذَا عَصَمَهُ رَبُّهُ بِالْوَحْيِ – خَبَرَاً وَحُكْمَاً – وُفِّقَ.

[٨٣] الْمُجَادَلَةُ فِي الْفِتْنَةِ تُوْرِثُ الشُّكُوكَ؛ لأَنَّ الْجَدَلَ وَالْخُصُومَةَ، كَالْفُؤُوسِ الَّتِي تَضْرِبُ فِي أَعْمَاقِ الْقَلْبِ مَقْتَلِعَةً عُلُوْمَهَ: بِالتَّشْكِيْكِ، وَالتَّلْبِيْسِ، وَإِثَارَةِ الْمُغَالَطَاتِ، وَإِيْرَادِ الْمُتَشَابِهَاتِ.

[٨٤] الْكَيِّسُ الْفَطِنُ يَتَوَقَّى فِي الْفِتْنَةِ كُلَّ مُتْلِفٍ لِرَأْسِ مَالِهِ؛ فَلا يُقَامِرُ بِقَلْبِهِ مَهْمَا أَغْرَاهُ طَيْشُ الأَحْلامِ، وَزَهْوُ الأَقْلامِ؛ لأَنَّهُ يَخْشَى مِنَ الْمَلِكِ الْعَلَّامِ يَوْماً تَزِلُّ فِيهِ الأَقْدَامُ.

[٨٥] الْمُخْلِصُ يُحِبُ الْعَمَلَ الْمُشْتَرَكِ وَيَجْتَهِدُ فِي أَدَاءِ مَا أُنِيْطَ بِهِ مِنْهُ، فَانْغِمَارُ أَعْمَالِهِ فِي جُهْدِ الْجَمَاعَةِ، وَخَفَاءُ عَمَلِهِ أَحْفَظُ لِقَلْبِهِ؛ لأَنَّ مَقْصُودَهُ ظُهُورُ الْحَقِّ، لا النَّفْسِ؛ لِمَحَبَّتِهِ مَوْلاهُ، وَقَمْعِهِ هَوَاهُ.

[٨٦] مِنْ عَجِيْبِ شَأْنِ الْهَوَى فِي هَذِهِ الْفِتَنِ؛

أَنَّهُ يُسْلَبُ مِنَ اللَّبِيْبِ عَقْلُهُ طَوَاعِيَّةً، فَيُرْخِي الْمَفْتُونُ عِنَانَ قُوَى الإِدْرَاكِ وَالتَّمْيِيزِ (لِسُلْطَانِ الْهَوَى).

فَيُعْمِلُ فِيْهَا مَعَاوِلَ الْهَدْمِ وَالتَّخْرِيْبِ وَالتَّغْيِيْرِ وَالإِفْسَادِ حَتَّى يُعْمِيَهُ وَيُصِمَّهُ وَيُبْكِمَهُ عَنِ الْحَقِّ الَّذِي يَعْرِفُهُ.

[٨٧] الْحُكْمُ بِالْعَدْلِ فِي النَّازِلَةِ

يَبْدَأُ (بِالتَّصَوُّرِ الصَّحِيْحِ)، فَكُلُّ نَقْصٍ فِي التَّصَوُّرِ وَالْعِلْمِ بِالوَقَائِعِ وَالأَعْيَانِ وَأَحْوَالِهِمَا يُقَابِلُهُ نَقْصٌ فِي الرَّأْيِ وَالْحُكْمِ.

[٨٨] كُلُّ حَلْقَةٍ مَفْقُوْدَةٍ مِنْ حَلْقَاتِ التَّصَوُّرِ الوَاقِعِيِّ لِلأَشْخَاصِ أَوْ الْمَسَائِلِ أَوْ الأَحْدَاثِ يَذْهَبُ مَعَهَا جُزْءٌ مِنَ الْحَقِيْقَةِ يَفُوتُ بِحَسَبِهِ الْعَدْلُ فِي الْحُكْمِ وَالصِّدْقِ فِي الْخَبَرِ، وَمِنْ هَذَا الْخَلَلِ تَنْشَأُ الْفِتَنُ.

[٨٩] السَّلامَةُ فِي الثَّبَاتَ عَلَى الْحَقِّ،

وَلَوْ تَقَطَّعَتْ فِي سَبِيْلِهِ أَوْصَالُكَ.

وَالْعَطَبُ فِي الاغْتِرَارِ بِالْبَاطِلِ، وَلَوْ ظَفَرْتَ بِبَعْضِ آمَالِكَ.

[٩٠] حَقِيْقَةُ الْهَوَى: (مَحَبَّةُ النَّفْسِ) بِتَقْدِيْمِ حَظِّهَا عَلَى حَقِّ رَبِّهَا. وَالتَّوْفِيْقُ أَنْ يَعْصِمَكَ اللّهُ –تَعَالَى– مِنْ رَأْيِ نَفْسِكَ، وَشَهْوَتِهَا الْمُخَالِفَيْنِ لِلْوَحْيِ –خَبَراً وَحُكْمَاً–.

وَالخِذْلانُ أَنْ يُخَلِّيَ بَيْنَك وَبَيْنَهَا (فَتُصَدِّقَ آرَاءَهَا)، (وَتَعْمَلَ بِشَهَوَاتِهَا).

[٩١] الَّذِي يَنْظُرُ فِي الشَّيْءِ طَالِبَاً الحُكْمَ لَهُ أَوْ عَلَيْهِ عَلَى قَاعِدَةِ مَصَالِحِهِ الخَاصَّةِ يَنْشَأُ حُكْمُهُ بَعِيْداً عَنْ مَصَالِحِ الْمَنْظُورِ فِي حُكْمِهِ وَآثَارِهِ. وَهَذَا مَسْلَكُ الْمُنَافِقِيْنَ {وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ مُعْرِضُونَ، وَإِنْ يَكُنْ لَهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ}[النُّورُ : ٤٨ – ٤٩] .

[٩٢] الظَّفَرُ بِوَاجِبِ الْوَقْتِ مَحْضُ الْعُبُودِيَّةِ ؛ لِتَجَرُّدِ حَقِّ اللهِ فِيْهَا وَصَفْوِّهَا مِنْ كَدَرِ الْحُظُوظِ.

[٩٣] احْذَرْ أَسْرَ الأَلْفَاظِ وَالْمُصْطَلَحَاتِ، فَالحُكْمُ عَلَى الشَّيْءِ بِمُجَرَّدِ لَفْظٍ أَوْ عِبَارَةٍ دُوْنَ التَّأَمُّلِ فِي الْمَعْنَى وَالدَّلالَةِ سِمَةُ أَنْصَافِ الْمُتَعَلِّمِيْنَ، وَالْجَهَلَةِ مِنَ الْمُقَلِّدِيْنَ.

[٩٤] الَّذِي يَبْنِي رَأْيَهُ عَلَى احْتِمَالٍ غَيْرِ مُعْتَبَرٍ يَكُونُ جَاهِلاً؛ لأَنَّ الحُكْمَ بِنَاءً عَلَى احْتِمَالٍ غَيْرِ ثَابِتٍ، وَلا مُعْتَبَرٍ هُوَ حُكْمٌ بِالظَّنِّ وَالتَّخْمِيْنِ، وَهُوَ حَقِيْقَةُ الْجَهْلِ وَعَدَمِ العِلْمِ.

[٩٥] الَّذِي يَبْنِي رَأْيَهُ عَلَى تَخَوُّفٍ سَبَبُهُ غَيْرُ وَاقِعٍ وَلا مُتَوَقَّعٍ بِطَرِيْقٍ مُعْتَبَرٍ يَكُونُ جَبَاناً؛ لأَنَّهُ يُحْجِمُ مِنْ غَيْرِ سَبَبٍ يُوْجِبُ الإِحْجَامَ سِوَى خَوْفِهِ الْمَوْهُومِ: {إِنَّما ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ} [آلُ عِمْرَانَ: ١٧٥].

[٩٦] مَنِ امْتَطى رأسَهُ فَقَدْ (أَفْسَدَ رَأْيَهُ)، (وَأَتْلَفَ نَفْسَهُ).

[٩٧] اجْتِنَابُ الرَّأْيِ فِي الْفِتْنَةِ أَوْجَبُ مِن اجْتِنَابِ السُّمُومِ فِي الطَّعَامِ؛ لأَنَّ الرَّأْيَ يُفْسِدُ كُلَّ شَيْءٍ: الأَدْيانَ، وَالأَبْدَانَ، وَالبُلْدَانَ.

[٩٨] لِكُلِّ حِصَّةٍ مِنْ سَفَهِ عُقُولِ الْمُتَصَدِّرِيْنَ حِصَّةٌ تُقَابِلُهَا مِنْ فَسَادِ: الْعِبَادِ، وَالبِلادِ، وَالدِّيْنِ.

[٩٩] (الافْتِتَانُ) يَتَسَلَّلُ إِلى الْقُلُوبِ عِنْدَ زُهْدَيْنِ:

(زُهْدٍ فِي الْحَسَنَاتِ)، (وَزُهْدٍ فِي الْجَنَاتِ).

[١٠٠] الَّذِي يَبْنِي رأْيَهُ عَلَى تحرُّزَاتٍ مُتَكَلَّفَةٍ كمَنْ يلْبَسُ مَلابِسَ الشِّتَاءِ وَقْتَ الصَّيْفِ خَوْفاً مِنَ الْبَرْدِ يَكُونُ مَعْتُوْهاً؛ لأَنَّ التَّحَرُّزَ مِنَ الْعَدَمِ سَفَهٌ فِي الأَفْهَامِ، وَخَبَلٌ فِي الْعُقُولِ.

[١٠١] دَوَاءُ الْفِتَنِ لُزُومُ الاسْتِغْفَارِ، وَهِيَ أَمَارَةُ الصَّادِقِيْنَ؛ فَالانْشِغَالُ بِعَيْبِ النَّفْسِ يُصْلِحُ العَبْدَ، وَيُقَوِّي بَصِيْرَتَهُ بِعَيْبِ غَيْرِهِ. وَالانْشِغَالُ بِعَيْبِ الْغَيْرِ يُدِيْمُ فَسَادَ العَبْدِ، وَيُضْعِفُ بَصِيْرَتَهُ بِحَقِيْقَةِ عَيْبِ غَيْرِهِ.

وَاللَّبِيْبُ تَكْفِيْهُ الإِشَارَةُ، وَالْعَبْدُ يُقْرَعُ بِالْعَصَا.

سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ

أَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلا أَنْتَ

اسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ.